

نظرية الإمام النورسي لأنواع السلوك الإنساني ودوافعه

رضوان جمال يوسف الأطرش - نشوان عبده خالد

المستخلص

على الرغم من كثرة البحوث والجهود والدراسات العلمية حول السلوكيات العامة ومبادئ الأخلاق القرآنية والإنسانية، إلا أن الدراسات حول فهم دوافع تلك السلوكيات فيها نقص شديد، وما زالت الإشكالات قائمة حول هذا الموضوع، ولا غرو أن يثير علماءنا المسلمون الأوائل بشأن دوافع السلوك الإنساني عدة إشكاليات. ولا يخفى على أبناء الأمة الإسلامية وعلمائها وطلابها المكانة الرفيعة التي تتبوأ بها الإمام العلامة سعيد النورسي رحمه الله لتمييزه في كثير من المسائل الفكرية والإيمانية والسلوكية، وكثرة ثناء الناس عليه وعلى مؤلفاته العلمية لتمييزه في الحديث عن السلوك ومآلاته وأنواعه ودوافعه. وبعيداً عن التحيز اللامعقول، فإن كثيراً من الدراسات لم تعر اهتمامه في مسائل السلوك الإنساني ودوافعه عند الإمام النورسي رحمه، رغم أنه يعد من الذين ساهموا مساهمات فعالة في دراسة تلك الدوافع وفهم مقتضياتها، بدءاً من إثباته للمقاصد الأساسية للقرآن الحكيم والتي ظهرت ملامحها في أربعة مقاصد، هي: التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة. حيث تحدث عن الأخلاق باعتبارها معطى سلوكياً ومنهجاً حياتياً بعيداً عن منظومة الوعظ والإرشاد. لكل ما سبق تأتي هذه المقالة لتضيف لبنة جديدة تضاف إلى جهود من سبق في هذا المجال من خلال التركيز على الإطار الفكري الذي اعتمد عليه النورسي في نظريته للسلوك الإنساني وأنواع ودوافعه، ليقوم المقال على ركنين هما: الحديث عن أنواع السلوك والركن الثاني: الحديث عن الدوافع السابقة للسلوك الإنساني عند النورسي، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي. ذلك أن هناك ارتباط وثيق بين السلوك الإنساني وبين قناعاته ومعتقداته، والانحراف السلوكي دليل على عدم اكتمال الإيمان في النفوس..

الكلمات المفتاحية: أنواع، دوافع، السلوك الإنساني، النورسي.

* قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

* Department of Quran and Sunnah Studies - Abdul Hamid Abu Sulaiman College of Revelation Knowledge and Human Sciences - International Islamic University - Malaysia

Corresponding Author:

E-mail:

taallaam@gmail.com

Orcid:

<https://orcid.org/0000-0002-3206-8697>

Received: December 20, 2021

Accepted: July 7, 2022

Published: July 31, 2022

Citation:

Yousef, Radwan, "Imam Nursi's theory of human behavior and its motives", Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 5:2 (2022), 90-109

<https://doi.org/10.5281/zenodo.6861759>

Imam Nursi's Theory of Human Behavior and Its Motives

Radwan Gamal Youssef Al-Atrash- Nashwan Abdo Khaled

Abstract

Despite the large number of research, efforts and scientific studies on public behavior and the principles of Quranic and human ethics, studies on understanding the motives for these behaviors are very few, and problems still exist on this subject. It is not surprising that our early Muslim scholars raise several problems regarding the motives of human behavior. The Muslims, and Muslim scholars and students around the world, are aware of the high position that İmam Said Nursi, may God have mercy on him, hold for his distinction in many intellectual, faith and behavioral issues, and the great praise of people for him and his scientific writings because of writings about behavior and its consequences, types and motives. Frankly speaking, many studies did not pay attention to the issues of human behavior and its motives in the thought of İmam Nursi, may God have mercy on him, although he is considered one of the scholars who made effective contributions to the study of these motives and understanding their requirements, starting with his affirming of the four basic purposes of the Qur'an: tawheed (unity of Allah), prophecy, resurrection, and justice. Nursi talked about ethics as a given behavioral and a way of life away from the system of preaching and guidance. This article tries to add a new building block to the efforts of those who preceded in this field by focusing on the intellectual framework that Nursi relied on in his view of human behavior and its types and motives. The article is based on two pillars: talking about types of behavior and talking about motives of human behavior according to Nursi. The research adopted the inductive and analytical method. Because there is a close connection between human behavior and his opinions and beliefs, and behavioral deviation is evidence of incomplete faith in souls.

Keywords: Types, Motives, Human Behavior, Nursi.

مقدمة:

يعد تفويم السلوك الإنساني من أهم مقاصد القرآن الحكيم، ولهذا فإن كثيراً من سور القرآن تتحدث عن تجارب سلوكية حقيقية خاطئة للتاريخ الإنساني. وعليه، فلا غرو أن نجد في الخطاب القرآني مناهج تفويمية إيجابية هدفها ضبط السلوك الإنساني والنفسي من خلال التعرف على دوافع تلك السلوكيات. ولهذا فهو في كثير من الأحيان يعرف بالنفس وأنواعها، ويدفعه إلى سلوكيات خيرة ويحثه على أداء الأعمال الصالحة وعمارَة الأرض، ذلك أن هذه النفس ليس لها خيارات متعددة في إطلاق السلوكيات، الخيار الأول: فعل السلوك الصالح ذات المنطلق الصالح والدافع الطيب والنية الحسنة، والخيار الثاني: فعل السلوك الطالح ومنطلقة السيء من نوايا سيئة، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: 7-8]. فالفجور ضد التقوى، وهما إلهامان من الله للنفس المطمئنة التقية والنفس الأمارة بالسوء، فالنفس التقية يلهما الله التقوى، والنفس الأمارة بالسوء ذات الطبيعة الفاجرة والتي تهوى الفجور وتعمل عليه وتبغيه يلهما الله سبل نيّله والحصول عليه. (الفرّياي، 1997:198) فالإمام النورسي يرى أن التقوى سلوك نابع من التفضل الإلهي على النفس الإنسانية والتي لها قابلية لتبنيه وتنفيذه وتطبيقه وقبوله من الداخل والخارج. وفي نفس الوقت، إذا تقبلت النفس الفجور وهو أعظم ما يصاد التقوى، وارتاحت له فكراً وسلوكاً ومنهجاً فإن الله يلهما الفجور وييسر لها أسبابه، نعوذ بالله. كما تطرق الإمام النورسي إلى أعظم ضدين للتقوى، وهما سلوك الأنايية والغرور. يقول رحمه الله: والتقوى الحقيقية لا تجتمع والأنايية والغرور. (النورسي، 2013:476)

فالنفس البشرية ألهمت الفهم والمعرفة بطبيعة السلوكيات الناتجة عنها، وخلصتها أنها تنتج سلوكين متبايين، ذلك أن لكل سلوك غاية مختلفة (الأشول، 2008:418) الأول: مكنت فيه لتمارس سلوكيات غير صالحة (immoralities)، والثاني: مكنت فيها لتؤدي سلوكيات صالحة خيرة نابعة من قيمة التقوى (righteousness). فالسلوكيات بشكل عام وراؤها دوافع معينة، وبسبب ذلك تولد صراع دائم بين دوافع السلوكين المتغايرين، فالسلوكيات الخيرة تصدر نتائج إيجابية ومفيدة للنفس والإنسانية، ذلك أن دوافعها خيرة قائمة على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر، ويحوظها إدراك مستنبط من قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36] فالسلوك الإنساني من عجائب خلق الله الباهرة، ولهذا أشاد به في كتابه حين قال تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: 96]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 30].

وأما السلوكيات الشريرة، فإنه تورث نتائج سلبية للنفس والإنسانية جمعاء، ذلك أن دوافعها شريرة وهي مختلفة في دوافعها وأهم تلك الدوافع دافع الشهوة الجنسية، والمالية، والسلطوية، وغيرها. وبناء على تلك الدوافع التي ينتج عنها اختلاف في طبيعة السلوكيات، تنوعت الأنفس في القرآن. فقد حدثنا الخطاب القرآني عن ثلاثة أنواع من النفس، هي: النفس المطمئنة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27-30]، النفس اللوامة من خلال قوله تعالى: [القيامة: 2]، ذكر ابن القيم رحمه الله: عن طائفة: أنها هي النفس التي لا تثبت على حالة واحدة. وقد أخذوا هذا المصطلح من التلوم، وهو يفيد كثرة التردد والتلون والتقلب. بمعنى أنها شديدة القلب والتلون في موقفها في ساعة واحدة، فهو تقرر أن تقبل أمراً ما، ثم بعد لحظة تقرر الإعراض عنه، كما أنها تعلن حبها وفرحها ورضاها تجاه شخص أو مسألة، ثم هي فجأة تقرر أن بغضها وحزنها وغضبها. ولذلك قالت طائفة بأنها هي نفس مؤمنة، لأنها توقعه في المعصية ثم بعد ذلك تأخذ في لومه على اقترافها، وهي تختلف عن نفس الشقي الذي لا يلوم نفسه أبداً عما اقترفه، وإن لام نفسه فإنه يلومها عن عدم اقتراف المزيد من المعاصي. ولهذا قسمها ابن القيم إلى قسمين: نفس لوامة ملومة: وهي نفس أحاط بها الظلم والجهل، وهي محط لوم الله

وملائكته. أما القسم الثاني: نفس لوامة غير ملومة: فهي نفس حريصة على استمرار لوم صاحبها، لأنه مقصر في طاعة الله رغم أنه يبذل جهده. وخير ما يدل على ذلك في القرآن الحكيم قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن قصد عن الالتحاق بالنبى الكريم وحيشه في غزوة تبوك. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة: 118] فهؤلاء الذين تخلفوا عن أداء الواجب أصابتهم صحوة الضمير، فأورثهم عذاباً نفسياً هائلاً، لأنهم أدركوا بميزان الصحوة الإيمانية خطأ ما اقترفوه من سلوكيات إنسانية كان لها الأثر العظيم في حياة ذلك الأمر في نفوسهم وكيف تردد في صدورهم. فقد أخرج الحاكم في مستدرکه بسنده عن أبي الجوزاء، قال: سَأَلْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ مَا يَذُكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «دَعَّ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ طَمَئِينَةٌ وَإِنَّ الشَّرَّ رِيئَةٌ» (ابن البيع، 1990:15) وقال ﷺ: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِيمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْطَاكَ النَّاسُ مَا أَفْطَاكَ» (السمرقندي، 2000:1646)

النفس الأمانة بالسوء فهي تلك النفس التي تأمر صاحبها بكل سوء، من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53]. وهذا كما قال الإمام النورسي من باب إرادة الخير من الله لكل نفس أبصرت عيوبها، وقد عده الإمام محظوظاً سعيداً، أما ما اعتد بنفسه وأعجب بها فهو شقي (النورسي، 2013:480) وعلى الرغم من أن الأمر كله متعلق بتوفيق الله، وبغيره لما استطاع أحد أن يرى عيب نفسه ويتخلص من وسوسة نفسه، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ فالأمر متعلق بنيل رحمة الله وتوفيقه. ولهذا فهو يجيب عن الأسئلة الغامضة حول النفس الأمانة بالسوء وينصح رحمه الله بدوام المجاهدة النفسية، بل واستمرارها إلى نهاية العمر، لأنه قد تنقلب النفس الأمانة إلى نفس لوامة أو مطمئنة، والغريب أن الإمام النورسي يضرب لنا مثلاً من الأولياء والأصفياء العظام شكوا من النفس الأمانة بالسوء رغم أن نفوسهم مطمئنة، ثم قال: إن هؤلاء الأفاضل لا يشكون من النفس الأمانة، بل من وظيفتها التي أودعت إلى الأعصاب. (النورسي، 2013:480)

ورغم اختلاف هذه الأنفس في الظاهر إلا أن ابن القيم له رأي آخر، إذ يقول رحمه الله: والحقيقة أنها نفس واحدة، ذات صفات مختلفة، وكل صفة لها اسم مختلف، بمعنى أن النفس إذا وصفت بأنها مطمئنة، وذلك لأنها اطمأنت إلى الله من خلال صدق العبودية والمحبة والإنابة والتوكل والرضا والسكون إليه سبحانه. أما بالنسبة إلى نيل نعمة الطمأنينة وزوال التوتر والقلق والانزعاج والاضطراب، فإنه من المستحيل حصولها إلى بذكر الله والعيش مع كتابه والنتعم بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

والقصد من ذلك الإشارة إلى أن أصل الدين والتدين الحق يقوم على سلوك نظيف مستقيم. ولا عجب أن يقول النبي الكريم محمد ﷺ: «(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)» (ابو عبد الله، 1989:104) والحديث صريح بأن المقصد الأساس لهذه الرسالة هو بناء سلوك إنساني سليم بعيد عن الأهواء وسيطرة الرغبات والشهوات. قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: 50].

فإن هذه الدراسة تركز في بداياتها على السياق الإيماني والخلقي والفكري الذي انطلق منه الإمام النورسي ليقدم لنا نظرية شبه متكاملة حول السلوك الإنساني ودوافعه. وعلى عكس فرويد الذي يؤمن بافتراضه أن هناك غريزتين لا ثالث لهما تدفعان الإنسان ليبقي على حياته، ويصدر سلوكياته بناء على ذلك، هما: غريزة الحياة، وغريزة الموت. (عبد القادر السقاف، بدون تاريخ:474)

على المستوى التاريخي، فقد أهمل المرجئة موضوع السلوك الإنساني، عندما نظروا إلى الإيمان على أنه تصديق فقط، فعملوا سلوكيات متعلقة بالقلب وجوارح البدن. (عبد اللطيف، 4:1414) وفي المقابل طرح ميكافيللي بنزعتة العملية أن الحكم هدف بحد ذاته، ولا ينبغي التفكير في نوعية السلوك الذي يحقق ذلك الهدف مهما كان مخالفاً للقيم والدين. (الحوالي، بدون تاريخ: 227)

وقد حذر الخطاب القرآني من تضارب القول مع الفعل والسلوك من خلال قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصف: 2]. حيث اعتبر القرآن أن هذا التضارب هو انتكاسة حقيقية تؤدي انحراف سلوكي ونفاق يحرم صاحبه من تزكية نفسه ويبعده عن الالتزام بمنهج التوافق بين السلوك الإنساني وما يعتقد، فالتوافق بين سلوكيات الإنسان وأفعاله يعد رصيماً فكرياً واجتماعياً وحضارياً راقياً، لأنه جزء لا يتجزأ من الدين وأعظم خصاله، بل هو دليل على صلاح باطنه، لأنه نابع من تعزيز زيادة المراقبة الذاتية. أما التضاد بين السلوك الإنساني وبين الفكر والعقيدة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204] نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وهو حليف لبني زهرة أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، وزعم أنه يحبه ويحلف بالله على ذلك، وهذا هو المراد بقوله: يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه غير أنه كان منافقاً حسن العالنية خبيث الباطن، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين فأحرق الزرع وقتل الحمر. (الرازي، 344:1420) فالآية الكريمة أظهرت خمس صفات لهذه الشخصية النكدة، هي كالاتي: الصفة الأولى: قوله: ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمعنى: يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس. الصفة الثانية: قوله: ويشهد الله على ما في قلبه فالمعنى أنه يقرر صدقه في كلامه ودعواه/ بالاستشهاد بالله، ثم يحتمل أن يكون ذلك الاستشهاد بالحلف واليمين، الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، والمعنى: وهو أشد الخصوم خصومة، وهذا قول الزجاج، الصفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ [البقرة: 205] اعلم أنه تعالى لما بين من حال ذلك الإنسان أنه حلو الكلام، وأنه يقرر صدق قوله بالاستشهاد بالله وأنه ألد الخصام، بين بعد ذلك أن كل ما ذكره باللسان فقلبه منطو على ضد ذلك، الصفة الخامسة: قوله تعالى: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم معناه أن رسول الله دعاه إلى ترك هذه الأفعال فدعاه الكبر والأنفة إلى الظلم. (الرازي، 344:1420) ولهذا أوضح رسول الله ﷺ أن الإيمان له شعب كثيرة، فقال: «الإيمان بضغ وسبعون - أو بضغ وسبعون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». (مسلم، رقم الحديث: 58)

تعريف المصطلحات الخاصة بالبحث:

السلوك لغة واصطلاحاً:

السلوك لغة: السُّلُوكُ: أصله من مادة سَلَكَ، بمعنى دخل، ومعناه السير، والمسلك: هو الطريق الذي يسير فيه الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [المؤمنون: 27]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». (الترمذي، رقم الحديث: 2646) فالسلوك لغة يعني الدخول والتصرف، والسير، والمذهب، والطريق.

هذا وقد وردت كلمة السلوك في القرآن الحكيم لتدل على معانٍ كثيرة، نختار منها المعاني الآتية: الجعل، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الحجر: 12]، ومعنى نسلكه: قال الطبري: أي نجعله. (الطبري، 70:2000) ومن معاني السلوك: المشي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [الملك: 15] قال السمرقندي: أي سهل لكم السلوك. (السمرقندي، بدون تاريخ: 476) ومن معاني السلوك الجري: قال ابن فورك: السلوك: دخول بمرور على الشيء، ولهذا أخبر تعالى في صفة الماء الجاري: ﴿فَسَلْكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 21] (الأصبهاني، 317:2009) وعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا سَلَّكُمْ فِي سَفَرٍ﴾ [المدثر: 42] قال ابن فورك: قصد بالسلوك الدخول المجزّم القاطع بالخروج عن أمر الله ونهيه.

السلوك اصطلاحاً: هُوَ تَهْدِيبُ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَعَارِفِ وَذَلِكَ اسْتِنْعَالُ بَعْمَارَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ (الغزالي، 157:1987)

ورد معنى سلوك (Behavior) في قاموس أكسفورد النفسي بأنه: "النشاط البدني للكائن الحي، بما في ذلك الحركة الجسدية العنقية والعمليات الغددية الداخلية والجسدية الأخرى، والتي تشكل مجموع استجابات الكائن الحي للبيئة من حوله"، وفي موسوعة علم النفس جاء تعريف السلوك بأنه "مجمّل الاستجابة الكلية، على الصعيدين الحركي والغددي، التي تصدر عن كائن عضوي إزاء أي وضع أو موقف يواجهه هذا الكائن. ويدعو إلى القيام بردة فعل ما علم السلوك: يطلق مصطلح علم السلوك: "على العلم المعني بمعرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات. ويسمى بعلم الأخلاق وعلم التصوف. (اليسوعي، بدون تاريخ: 5) وعندهم ما يسموا بأرباب السلوك أو أهل السلوك. وخير سورة قرآنية تعلم السلوك والوصول هي سورة الفاتحة، يقول آل الشيخ: ومعرفة سلوك الصراط والوصول إلى الله هو أصل الدين الذي يجب التزامه. (الدوسري، 111:1989)

ولو أن إنساناً كما قال أبو حامد الغزالي: النظر العقلي دليل إلى العلم بالمنظور فيه بسلوك طريق النظر والوصول إليه، فمن سلكه وصل، ومن وصل عرف أن ما سلكه هو الطريق، ومن حصلت له استرابة أو شك قيل أن يسلك الطريق، فنقول له: إن منهجية رفع هذا الشك والريب هو السلوك. وخير مثال على ذلك: لو سأنا سائل عن طريق الكعبة، ودللنا السائل على إحدى الطرق، فقيل لنا: كيف عرفتم أن هذا الطريق يؤدي إلى الكعبة، أجبتنا: أنه تم معرفته بالسلوك. بمعنى أننا سلكننا ذلك الطريق فوصلنا إلى الكعبة المشرفة (الدوسري، 80:1989) وهذا المثال يوضح لنا أن الكمال في الشيء هو تحقيق الأمر المطلوب ونيله، لكن الإمام الغزالي قال: وبينهما وسط، وهو السلوك الطلبي (الدوسري، 38:1989)

السلوك اصطلاحاً من وجهة نظر الباحث النفسي: نشاط يقوم به الكائن الحي. والكائن الحي يشمل الإنسان والحيوان، ولهذا يعد بحث الحيوان عن طعامه نوع من السلوك، كما أن انشغالات الأطفال بلعبهم يعد نوعاً من السلوك. (الدوسري، 103:1989)

كل ما يقوم به الإنسان من أعمال ونشاطات صادرة عن بواعث ودوافع. كما أن السلوك هو نتاج علاقات ديناميكية صادرة عن تفاعل الإنسان بميولاته وحاجاته ونزعاته وحوافزه واتجاهاته مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية تأثير البيئة على السلوك الإنساني

أما تعريف السلوك الإنساني: هو كل نشاط يقوم به الإنسان ويمكن ملاحظته أو ملاحظة نتائجه وبمعنى آخر هو كل ما يصدر عن الإنسان من استجابات عقلية وحركية واجتماعية ونفسية ظاهرة أو غير ظاهرة،

واضحة للرأي أو مبهمة... ومن هنا كانت الإشارات والتلميحات وحركة اليدين وإيماءة الرأس سلوكاً ولغةً يهتم بها الآن علماء اللغة وعلماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا على حد سواء" (علي خليل، 190:1983)

الدافع لغة واصطلاحاً:

الدافع (Motive) لغة: جاءت كلمة الدافع من الفعل دفع: د ف ع: (دَفَع) إِلَيْهِ شَيْئًا وَ (دَفَعَهُ فَاذْفَع) وَبَابُهُمَا قَطَعَ وَ (اِذْفَع) الْفَرَسُ أَيَّ اسْرَعَ فِي سَيْرِهِ. وَ (الْمُدْفَعَةُ) الْمُطَاظَةُ، ومنها الفعل دافع، (دَافَعَ) اللَّهُ عَنْكَ السُّوءَ (دِفَاعًا) وَ (اسْتَدْفَع) اللَّهُ الْأَسْوَاءَ أَيَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْفَعَهَا عَنْهُ. وَ (تَدَافَعَ) الْقَوْمُ فِي الْحَرْبِ أَيَّ دَفَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وقد ورد في كتاب الله عز وجل أن عذاب الله لا محالة واقع على الكافرين وأنه ليس له دافع، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: 7-8]. وبنفس المعنى ورد في سورة المعارج، قال تعالى: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: 2]. أي حام. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]. ومن مرادفات الدافع: الباعث، وهو اسم فاعل من الفعل بعث، وهو اسم من أسماء الله ومعناه: الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة، (ابن الأثير، 138:1979) وباعث الرّسل إلى الخلق لهدايتهم. (عبد الحميد عمر، 222:2008) ومن المرادفات كذلك: المحرك، والعلّة، والسبب والداع، والحاجة، والغرض، والحافز. وكلها لها معاني الحث والتعجل والتضام والتجمع والسرعة للقيام بعمل ما.

الدافع اصطلاحاً: عرف الأستاذ مصطفى فهمي الدافع بأنه اصطلاح يستعمل بكل بساطة للدلالة على فكرة (Concept). هو ما يحفز الإنسان لكي يقوم بسلوك معين من أجل تحقيق رغبة معينة.

أو هو القوة التي تدفع الفرد لأن يقوم بسلوك من أجل إشباع وتحقيق حاجة أو هدف. ويعتبر الدافع شكلاً من أشكال الاستثارة الملحة التي تخلق نوعاً من النشاط أو الفعالية. (مصطفى فهمي، 15:1995)

وظيفة الدافع تختصر في ثلاثة أشياء: الأولى: أنه تنظر إلى الدافع على أنه يمثل الطاقة المنبثقة والمستثيرة لإحداث السلوك. والثانية: تنظر إلى الدافع كونه موجهاً للسلوك لاختيار أفضل السبل لتحقيق الهدف. والثالثة: تنظر إليه على أنه من خلاله يمكن الحفاظ على الاستمرارية والاستدامة بعد الاستثارة والتوجيه نحو السلوك. من جهة أخرى، يرى الإمام النورسي أن نشأة السلوك ترتبط بالدوافع المحركة لظهوره، من هنا كان الدافع لنشأة السلوك وظهوره من أهم ما يجب الاعتناء به لفهم السلوك، حيث تساعد دراسة الدوافع على فهم السلوك والقدرة على التنبؤ به قبل حصوله في المستقبل عند مواقف وظروف معينة، وتراث علم النفس التجريبي يركز عند دراسته للسلوك على أساس الفروض المتصلة بدراسة مبدأ الدافع أو الدافعية نحو السلوك. ويرى البعض بأن الدوافع الإنسانية لا حصر لها ولا عد. وهذا ما أكده الإمام النورسي في كثير من المواطن.

أنواع السلوك عند الإمام سعيد النورسي:

يرى الأستاذ الدوسري أن السلوك سلوكان: سلوك الأبرار أهل اليمين وهو أداء الواجبات وترك المحرمات باطناً وظاهراً. والثاني: سلوك المقربين السابقين وهو فعل الواجب والمستحب بحسب الإمكان وترك المكروه والمحرم. (الدوسري، 129:1413) يرى فخر الدين الرازي رحمه الله أن الصبر قيمة عظمى يسعى بها صاحبها لقهق النفس، لكن التوكل هو سلوك للانقطاع بالكليّة من الخلق والتوجه بالكليّة إلى الحق، فالأول وهو

الصبر: هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى، والثاني وهو التوكل: آخر هذا الطريق ونهايته لكن الإمام النورسي يؤمن أن هناك أنواعاً كثيرة من السلوكيات الإنسانية التي تحتاج إلى تبصر لاكتشاف كنهها، ومن هذه الأنواع ما يلي:

أولاً: **مسلك الأنبياء عليهم السلام هو مسلك الأبطال**: وخير مسالكهم مسلك رسول الله ﷺ وهو مسلك حق عزيز، وخير مثال على السير إلى صراط الله المستقيم. ويمكن لنا أن نصف مسلك الأنبياء بالآتي:

1. المسلك الحق العزيز إلى الصراط المستقيم: من أعظم البواعث على اتباع هذا المسلك العظيم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 61] قال الرازي: قوله تعالى: تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ كان ذلك سبباً حاثاً على السلوك. ولهذا فإن مسلك رسول الله هو مسلك حق عزيز وهو مسلك الأسوة الحسنة في السلوك القرآني تطبيقاً وخلقاً، ومثال تطبيقي على كيفية السلوك إلى صراط الله المستقيم. ولهذا فقد توفرت في شخصية الرسول الكريم عدد من الصفات تصف سلوكه بأنه مسلك حق ولا شيء غير الحق، فهو يقول كل ما يوحى إليه من غير حجاب ولا مبالاة وبلا تحيّل ولا تصنع يومان إلى كذبه في أنظار خصومه. فهو كما يصفه الإمام النورسي بموظف عظيم الشأن وفي وظيفة عظيمة كريمة، ولها حثيئات نزيهة عظيمة، رغم احتياجه الشديد لقضية الأمن والأمان. لأنه أمام خصوم لا يرحمون. ورغم ذلك فهو يسلك مسالك الأبطال الذين لا يخافون في الله لومة لائم، لا يترددون، ولا يتلعثمون، ولا يؤثّر فيه صفة حميمة لصاحب، أو جد أو قريب أو بعيد. وهو بهذا السلوك يجعل الخصم ينكسر بعزته ويحقر نفسه ويزيف عقله. هذا هو الحق الذي لا باطل بعده، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾ [النجم: 4]. ثم يقرر الإمام النورسي وهو يبحث أجيال الأمة على المضي قدماً للاقتداء بهذا السلوك ويقول: نعم، إن مسلكه الحق هذا مستغن عن التدليس. (النورسي، 2010: 33) من جهة أخرى، حين فسر فخر الدين الرازي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9] قال: إن الإنسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها وهداية نظرية والكافر ما أدركها فكانه تعالى يقول: جعلنا من بين أيديهم سدا فلا يسلكون طريقة الهداء التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون إلى الهداية الجبلية التي هي الفطرية، ثم أضاف رحمه الله: إن السالك إذا لم يكن له بد من سلوك طريق فإن انسد الطريق الذي قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع وإذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه فالموضع الذي هو فيه لا يكون موضع إقامة لأنه مهلك فقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ إشارة إلى إهلاكهم. (الرازي، 1998: 255)

2. المسلك النبوي المعراجي نحو فهم المقاصد الإلهية: يتحدث الإمام النورسي عن مسلك نبي الله في فهم المقاصد الإلهية وهو يدرك دلالات الكلام الذي يقوله ويعبر به، فيقول: هناك سير وسلوك يأتي من خلال مشاهدة وظائف العبودية لله عز وجل، هذه الوظائف الخاصة بالعبودية موجودة في جميع طبقات الكون، فمن كان مراده فهم مقاصد الله المبتوثة في الكون فلا بد له من رؤية سلطان ربوبيته سبحانه، المبتوثة في طبقات الكون، فإن فعل ذلك فقد أدرك هيبه حاكمية الله الغالبة، وأصبح داعياً بحق إلى الله سبحانه وتعالى. فالإمام النورسي يقول: إنه لا بد من السير في تلك الطبقات، ولا بد من سلوك واعٍ في تلك الدوائر، حتى يدخل في الدائرة العظمى وهو دائرة عرش الله الأعظم، ويدخل في ﴿قَابِ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: 9] وبذلك يقابل الذات الجليلية. وهذا في نظر الإمام النورسي هو السير والسلوك الحقيقي، وهو حقيقة المعراج. وقد أخذ يشرح المقصود بالطبقات، فهناك صنف من هذه الطبقات خاص بالمخلوقات، وهناك طبقات خاصة بالموجودات، وبين المقصود منها: كالذرات والسيارات والحشرات إلى أن تصل إلى السماوات، فكل هذه المخلوقات تنفذ أوامر السلطان الأزلي الأعظم سبحانه بطاعة كاملة وامتثال رهيب (النورسي، 2012: 475) وبصيغة أخرى فقد أكد

القشيري على هذا المعنى فقال معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ﴾ [الأنعام: 83]: أشار إلى ترقّيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته، وذلك ترتيب أهل السلوك في وصولهم إلى الله، فالتحقّق بالآيات التي هي أفعاله ومراعاة ذلك وهي الأولى ثم إثبات صفاته وهي الثانية، ثم التحقّق بوجوده وذاته وهو غاية الوصول، فبرسومه يعرف العبد نعوته، وبنعوته يعرف ثبوته. (القشيري، 486:2006)

وأما الإمام النورسي فإنه يزيل الإشكالات الواردة في الحديث عن هذا السير النبوي المتعلق بالطبقات والذرات والموجودات التي وجدت في طبقات الأكوان من خلال عقد مقارنة بينها وبين جيوش هذا الزمن المنظمة، قال: فإنك لو قورنت طاعة تلك الموجودات بالجيوش المنظمة لكانت تلك الموجودات في طبقاتها أكثر انتظاماً وطاعة لأوامر الله ألف مرة منها. هذا سير وسلوك وتصوير لا بد لنا من التعلم منه والاستفادة منه حتى نرقى بسلوكياتنا الإنسانية إلى أعلى مستوى، ولهذا فإن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي استطاع أن يسير في جميع طبقات الكون وتعلم من هذه الموجودات حتى أصبح أكثر منها التزاماً وطاعة. ولهذا تم اختياره من ربه سبحانه ليكون المبلغ والمعلم والمرشد للخلائق كلها لكي يظهر مغزى الموجودات، ويظهر الكمالات، ويعلم المقاصد العليا، والداعي له إلى صراط مستقيم، كيلا يبقى هذا الكون عبثاً دون نفع، لأنه أي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأليق والأجدر من يوفي حق هذه الوظائف، وقد أداها فعلاً بأبهى صورة وأكملها. فلأجل كل ما سبق يلزم أن يعرج ويعلو بهذا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم علواً مباشراً إلى مقام رفيع سام، يسمو به على جميع المخلوقات والكائنات ويتجاوز جميع الموجودات كي يحظى بالمثل بين يدي رب العالمين. وهذا هو المقصد من المعراج (النورسي، 470:2012)

أما الدافع وراء سلوكيات الأنبياء هذه فهو أنها سلوكيات نابعة من طاعة مطلقة لله، ولهذا لم تكن جميع سلوكياتهم خارقة، بل إن كثيراً من سلوكياتهم كانت غير خارقة:

من المعلوم أن سلوكيات الأنبياء والرسول هي كلها دليل على صدق نبوتهم، لكن هذا لا يعني - كما قال الإمام النورسي- أن تكون جميع أحوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم خارقة للعادة. فالله العظيم أرسلهم بشراً أنبياء، وعليه، فإنهم بسلوكياتهم وحركاتهم هي بشرية محضة لأنهم بعثوا ليكونوا أئمة ومرشدين للناس كافة، وحتى يقتدي بهم الناس لينالوا سعادتي الدنيا والآخرة. ثم قال رحمه الله بعد أن ضرب مثلاً برسول الله ونبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: فلو كان صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله وسلوكياته خارقاً للعادة، لكان بذلك خارجاً عن الطور البشري. وهذا يمنعه من أن يكون في مركز القدوة والأسوة التي يحتذى بها الناس أجمعين، ولهذا فإن صلى الله عليه وسلم ما كان يلجأ إلى مسألة إظهار المعجزات الخارقة إلا بين فترة وأخرى. كما أنه سبحانه وتعالى بعظيم حكمته لم يجعل التصديق بالمعجزة بالإكراه والإجبار والإرغام، لأنه لو فعل ذلك لحصل أمران:

الأمر الأول: إن سر الامتحان يتلاشى وغاية الاختبار وحكمة التكليف تغيب، ولم يعد له قيمة أو

فائدة.

الأمر الثاني: إن الاختيار العقلي لم يعد له قيمة، لأنه بذلك يتساوى المنكر والمصدق، ويتساوى أبو جهل وأبو بكر في التصديق ولتساوى الفحم الخسيس مع الألماس النفيس. (النورسي، 118:2013) ولهذا

فلقد لخص القول الفصل في المسألة وقال رحمه الله: إن الرسول ﷺ بشر، ويتعامل مع الناس انطلاقاً من بشريته هذه. (النورسي، 2013:118)

ثانياً: سمو مسلك الصحابة رضوان الله عليهم: ومن الجدير بالذكر، فإنه عند التأمل في مسلك الصحابة رضوان الله عليهم فإن نجد هذا المسلك قريب جداً من مسلك الأنبياء، وقد صنف الإمام النورسي مسلك الصحابة بأنه:

مسلك ذوقي: يرى الإمام النورسي أن مسلك الأولين من الصحابة هو مسلك ذوقي، ولهذا فإنه رحمه الله أشاد بهذا المسلك ورقبه من خلال استحالة اللحاق به، قال: وإنه من الاستحالة للحاق بركب الصحابة في مسألة القرب من الله عز وجل، فمن التحق بركب الولاية وأصبح من أولياء الله الصالحين، فإن ذلك لا يعني أنه التحق بركب الصحابة رضي الله عنهم. والسبب يرجع إلى أمر في غاية الوجاهة عند الإمام النورسي، وهو: أن الإمام النورسي يجد ميراً لهذا الانفراد في السلوك لأصحاب النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أنهم يوجهون أنظارهم أولاً وبالذات إلى الحق، وينظرون إلى الخلق نظراً تبعياً، ولكن الآخرين ينظرون أولاً وبالذات إلى الخلق. كما أن الأولين يعبدون الله والآخرين ينظرون إلى أنانيتهم، ثم يتساءل بعد أن قارن بين الطرفين: فأين الثرى من الثريا، وأين الضياء الساطع من الظلمة الدامسة؟! (النورسي، 2009:424)

وعلى الرغم من هذا التأكيد على استحالة اللحاق بمسلك الصحابة إلا أنه يقرر بأن هناك صورتان تجعل العبد قريب من الله وهذان المسلكان أو الصورتان قام بها الصحابة خير القيام، قال رحمه الله: فالله عز وجل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وفي نفس الوقت نحن بعيدين عنه بعداً مطلقاً، لكنه يرى رحمه الله أن هناك صورتان للعبد يمكن أن ينال بهما قرب الله عز وجل:

الصورة الأولى: السير الأنفسي أو الآفاقي: هذا السير وهذا السلوك يعتمد على انكشاف أقربيته سبحانه. أي أن الله تعالى هو الذي يقرب إلى العبد، هبة ومن فضل محض منه سبحانه، وهذا السير لا يؤخذ ولا يحصل عليه عن طريق الكسب، بل يحصل عليه العبد عن طريق الانجذاب الإلهي والجدب الرحماني، ومن خلال محبوبيته الخالصة للعبد. فهذا الطريق هو طريق يسير وقصير، لكنه ثابت ومتين ورصين، ودرجته عالية جداً وسامية في طهرها لا كدر. (النورسي، 2012:380) وصاحبه ينعم بحياة لا عكر، ولا هموم، ولا غوم، ولا متاعب، فهو وإن جاءتته الهموم فهو يراه بمنظار آخر غير الذي نراه نحن. يقول القشيري: لو وقع لسالك فترة، أو لمريد في السلوك وقفة، ثم تنبه لعظيم واقعه فبادر إلى جميع الرجعة باستشعار التحسر على ما جرى تداركته الرحمة، ونظر الله- سبحانه- إليه بقبول الرجعة (القشيري، 465:402)

الصورة الثانية: تعتمد هذه الصورة السلوكية على حالة البعد عنه سبحانه، وهو باختصار صورة كسبية، لكنها طويلة، وفيها شوائب وظلال، ورغم أن خوارقها كثيرة، فإنه لا يمكن أن تبلغ درجة الصورة الأولى من الأهمية والقرب منه تعالى. ولتوضيح هذه الصورة يضرب الإمام النورسي مثلاً، يقول رحمه الله: إذا أردنا إدراك الأمس من هذا اليوم فإن هناك طريقتين: الطريقة الأولى: الانسلاخ من وقائع الزمن وجريانه بقوة قدسية، والعروج إلى ما فوق الزمان، ورؤية أمس حاضراً كالاليوم. الطريقة الثانية: فهو أن يقطع السالك مسافة سنة كاملة لملاقة الأمس من جديد، ومع ذلك فإنه من الاستحالة أن تمسك به، لأنه سوف يدعك ويمضي. وهذا يشبه حالة من يسلك الأمر في النفوذ من الظاهر إلى الحقيقة، وأنه لا بد له من صورتين: الصورة الأولى:

الانجذاب إلى الحقيقة مباشرة، ووجدان الحقيقة في عين الظاهر المشاهد من دون الدخول إلى برزخ الطريقة. الصورة الثانية: قطع مراتب كثيرة بالسير والسلوك. (النورسي، 2012:381)

وبالتأمل في مسلكيات الصحابة رضوان الله عليهم، نجدها مدفوعة بدافع الإخلاص: يرى الإمام سعيد النورسي أن العمل لا يكون إيجابياً وبنّاءً إلا إذا صدر عن إخلاص لله وصحة عزم وحب نفسي وامتلك صاحبه قناعة داخلية، كما أن يرى أن أساس العمل والسلوك هو الإخلاص. (النورسي، 2011:236) ويؤكد هذا القول برويته الربانية للإخلاص، فيجعله في محور النجاة فيؤكد: إن محور النجاة ومدارها الإخلاص، لأن الإخلاص معناه التبري من الحول الذاتي والقوة النفسية، ذلك أن يؤمن بأن ذرة من عمل خالص لله، هو بلا شك أفضل عند الله من أطنان من الأعمال والسلوكيات المشوبة. كما أنه يعتبر الإخلاص أحم أساس لجميع طرق الولاية، وسبل الطريقة، ذلك لأن الإخلاص هو الطريق الوحيد للخلاص من الشرك الخفي. (النورسي، 2013:460) كما أكد رحمه الله على ضرورة نجات الإنسان من الشرك الخفي والرياء، ولن يتخلص من ذلك إلا بالإخلاص الذي هو أهم شرط لدى سالك الطريقة وأهم نتيجة لها (النورسي، 2013:462) فهو يوصل إلى التوكل والتفويض الكامل لله. وعلى سبيل المثال، فإن المسلم إذا أدى عبادته بإخلاص، فهو يؤديها دون أن يسأل عن الحكم الموثقة فيها، ولا يسأل عن عللها وأسباب فرضها. فالإخلاص يقتضي بالنسبة إليه أن تكون العلة هي الأمر الإلهي فقط (النورسي، 2009:149)

ولهذا فهو يؤمن أن السالك في الطريقة يرتفع تدريجياً إلى أعلى الدرجات والمراتب بإخلاصه، تلك المراتب التي ينال فيها ما في الشريعة نفسها من معنى الحقيقة وسر الطريقة. كما أن أهل الطريقة الذين هم أصحاب الحقيقة كلما تقدموا في مسلكهم وارتقوا في معارجهم وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية ومندرجين ضمن غاياتها ومقاصدها. ثم يقول رحمه الله: فالذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص هو تفكره في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ثم عدم تدخله في الشؤون الإلهية. (النورسي، 2011:201) وأنه لا بد من أن يرجو صاحبه من ذلك المسلك رضى ربه الكريم، يقول رحمه الله: إن الإخلاص في العمل ونشدان الحق فيه إنما يعرف بصدق الرغبة في إفادة المسلمين عامة، (النورسي، 2011:231) فمن يتضابق من افتقار صوته إلى الجمال والجودة والحسن وهو يقرأ القرآن ويشكو من قلة السامعين له، فليعلم أن الله تعالى سوف يدخل كلماته المخصصة أسماء الروحانيين في كل أنحاء هذا الكون، (النورسي، 2011:231) فالذرة في سبيل رضا الله مع الإخلاص تصبح نجمة متألئة. لهذا لا تنتظر أيها المسلم إلى صغر حجم العمل، بل ينظر إلى كمية الإخلاص التي نبع منها ذلك السلوك وينال صاحبه كما قال النورسي: عزة معنوية في مسلكه نفسه. ولا تكتمل إيجابية السلوك الإنساني إلا بروية صادقة من عدم جدوى الاتفاق مع مخالفه ظاهراً، ولا يجد في نفسه الحاجة إليه. (النورسي، 2011:228) وهنا يركز الإمام على نقطة جوهرية في غاية الروعة، وهي: إن إفادة المسلمين على العموم لا يشترط أن يكون فاعلها أنا أو أنت، ذلك أن حصر النظر بأن يؤخذ الدرس والموعظة والإرشاد والدعوة مني فقط حتى أفوز بالثواب العظيم يوم القيامة هو حيلة من حيل النفس وخديعة تدل على أنانية رهيبية (النورسي، 2011:230) إضافة إلى ما سبق، فإن العمل يتكثف بالإيجابية أكثر حينما يقول: إن مسلكي حق، ولكن من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين (النورسي، 2011:229)

وأما الدافع الثاني لمسلكيات الصحابة الكرام: الحب الشديد للرسول واتباع سنته ﷺ:

يرى الإمام النورسي رحمه الله أن الإنسان يمكنه تحويل سلوكياته العادية إلى سلوكيات عبادية، وسلوك الغافلين إلى سلوك أهل السكينة والطمأنينة. ذلك أن تطبيق المعاملات الشرعية وفق السنة النبوية السنيّة يورث سلوكيات من نوع خاص محاطة بالطمأنينة والسكينة، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، يقول رحمه الله: إن في هذه الآية إرشاداً خاصاً للمؤمنين بأن لا يقلدوا أهل السفاهة، وزينتهم الصورية، ولذا نذهم المغرية غير المشروعة، لأنهم لو فعلوا ذلك لأصبحت عقولهم آلات مشؤومة تزعج الرأس. ثم يضرب لنا مثلاً يوضح هذه المسألة بشكل واضح. لو أننا قصرنا منيفاً جميلاً واسعاً، وفي إحدى صالاته الكبرى مصباح كهربائي كبير، والذي انطلقت منه مصابيح متشعبة إلى منازل أخرى وصالات صغيرة مرتبطة. ولو أن أحداً أطفأ ذلك المصباح الكبير لأغلقت بسببه مصابيح المنازل والصالات الصغيرة التابعة وسقطت في وحشة ودهشة. ثم يقول: إن المسلم هو ذلك القصر الكبير، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذلك المصباح الكهربائي الكبير الذي في قلب المسلم، فإن نسيه وأخرجه من عقله وقلبه ومشاعره، فذلك يسبب ظلام داس طامس وتخريبات ووحشة هائلة مذهلة في التفكير والسلوك. فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم مدار لكل الكمالات والأخلاق المعنوية والحسية. (النورسي، 2011:186)

ثالثاً: سلوك الغافلين عن رؤية الحقائق الباهرة: الغفلة كما ورد في تاج العروس: متابعة النفس على ما تشتهيها، أو هي سهو يعترى الإنسان من قلة التحفظ والتهيظ. (الفيروزآبادي، 1996:140) ومن أنواع الغافلين:

1. الكفار أغفل المغفلين: لأنهم لا فطنة لهم ترشدهم إلى سلوك رشيد ينجيهم، ولهذا فقد وصف الله عز وجل سلوكهم الاعتراضي على الحق بقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]. وعند اقتراب الوعد الحق أدركوا أنهم كانوا في غفلة، فقال عنهم الله عز وجل: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 97]. فحين تستولي الغفلة على القلوب فيوصلهم مسلك السكر والغفلة هذا إلى التبار والدمار. وهل هناك من فائدة تذكر لهذا التهيظ المتأخر؟

2. أهل الشهوات من جهلة المسلمين كذلك مغفلون: الغفلة سلوك بدايته اتباع الرخص والجنوح إلى الكسل، والتعلل بالتأويلات، ونهايته التخلف عن السلوك الحق. (القشيري، 2005:30) ولهذا أمر الله نبيه الكريم أن لا يكون مع الغافلين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205] ومنّ عليه بالقرآن فقال له: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]. قال النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ [البقرة: 184] أي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبت صفات النفس ومطالبها النفسانية وكسل الطبيعة ومقاصد الدنيا الدنيّة واللذائذ البدنية أو على سقر حصل له وقفة للعجز عن القيام بأعباء أحكام الحقيقة، فليمهل حتى تدركه العناية ويعالج سقمه بمعاين الإلطاف وأشربة الإعطاف فيتداركه في أيام سلامة القلب. (النيسابوري، 1416:521) ولهذا فقد أشار ابن القيم في كتابه القيم مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين في حديثه عن منزلة اليقظة باعتبارها أول منازل العبودية، ورأى أن المقصود باليقظة انزعاج القلب لروعة الانتباه من رفة الغافلين. ثم قال رحمه الله: **وَلِلَّهِ مَا أَنْفَعَهُ هَذِهِ الرَّوْعَةُ، وَمَا أَعْظَمَ فَتْرَهَا وَخَطَرَهَا، وَمَا أَشَدَّ إِعَانَتَهَا عَلَى السُّلُوكِ! فَمَنْ أَحْسَنَ بِهَا فَقَدْ أَحْسَنَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي سَكَرَاتِ الْغَفْلَةِ. فَالْيَقِظَةُ هُوَ مَسْلُوكٌ يَنْتَقِلُ الْقَلْبُ بِهَا مِنْ مَنزِلَةِ مَنْزِلَةٍ فِي حَالِ سَيْرِ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي صِفَةِ الْمَنَازِلِ وَعَدَدِهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا أَلْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا مِائَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ وَتَقَصَّ، فَكُلُّ وَصَفٍ بِحَسَبِ سَيْرِهِ وَسُلُوكِهِ.**

التعامي عن عجز النفس و فقرها عين سلوك الغافلين: إن رؤية الإمام النورسي المنهجية لسلوك الغافلين تبدأ من نسيان ذات النفس الإنسانية، والتعامي عن عجزها اللامحدود، ومن فقرها اللامتناهي، ومن تقصيرها الكامن في ماهيتها. فالإنسان مطالب بأن يفكر في غاية ضعفه وتعرضه للزوال القريب وأنه مستهدف من قبل المصائب، فهو مجرد لحم وعظم ومن خصائصهما التحلل والفساد السريع، ثم بعد كل هذا تتصرف وتسلك سلوك الواهمين، وكأن وجودها فولاذي منزه عن الموت والزوال، والخلود الأبدي، ولذلك فما سر سلوك انقضاضها على الدنيا ورميها نفسها في أحضانها حاملة في ثناياها حرصاً شديداً وطمعاً هائلاً. زيادة على ذلك فهي تراها تسلك سلوك الذي يرتبطون بعلاقات حميمة ومحبة شديدة مع الدنيا، وتشد قبضتها على كل أنواع اللذائذ والمفيد والمتعم، وتنسى خالقها الذي يرببها بكمال الشفقة والرأفة والود، الأمر الذي يؤدي إلى أنها تهوي في هاوية الأخلاق والسلوكيات الرديئة، ناسية عاقبة أمرها وعقبى حياتها وحياة أقرانها. (النورسي، 2013:450)

يقول الأستاذ الكبير سعيد النورسي في كتابه اللمعات عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ فَسَأَهُ اللَّهُ رِعْوَةً بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] هذه اللمعة تكشف بعض أسرار هذا الخطاب القرآني العظيم، وذلك من خلال تأديبات للنفس الإنسانية سماها هو رحمه الله: لطمات وصفعات جراء غفلة إنسانية بما وقع فيه من أخطاء جبلية نابعة من حاجة البشر إليها، لكنه وصفها بأنها لطمات رحيمة وصفعات عتابية، توصل صاحبها في النهاية إلى أن ينال كرامة من الله ﷻ. والتخلص من هذه الكدمات واللطمات والصددمات يكون بخدمة القرآن المتواصلة، ثم قال رحمه الله: إن كرامة العمل للقرآن تنقسم إلى إقسام ثلاثة:

القسم الأول: تهيئة وسائل العمل والخدمة، وسوق العاملين فيها إلى الخدمة.

القسم الثاني: رد الموانع من حولها، ودفع الأضرار عنها، وتأديب من يعيق سيرها بإنزال عقوبات بهم.

القسم الثالث: هو خاص بالعاملين المخلصين في خدمة القرآن، وذلك عندما يبتلون بالفقور وغشيانهم بسلوكيات تبعدهم عن القرآن، فهؤلاء يصيبهم أول ما يصيبهم تحذيرات وتنبيهات، ثم تأتيهم لطمات رؤوفة رحيمة وعطوفة. نتيجة لهذه الصددمات ينتبهون من غفلتهم، هذا الانتباه مشابه تماماً لمن قال تعالى في حقهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] ثم يسارعون بجد وحزم للخدمة القرآنية مرة أخرى (النورسي، 2011:55) ثم تراه بكل تواضع ينسب نفسه إلى هذا القسم مع بعض الزملاء. فهو رحمه الله تراه يحول مسلك اللطمات إلى مسلك عز وكرامات، وهذه فلسفة يصعب على الكثيرين التمثل بها. (النورسي، 2013:451)

حل عملي لسلوكيات المغفلين: قدم الإمام النورسي رحمه بعض الحلول العملية لهؤلاء المغفلين منها:

الحل الأول: الترويض بالجوع وصوم رمضان: إن الإمام النورسي يقترح حلاً لعلاج هذا النوع من السلوك وهو صوم رمضان، فصوم رمضان يشعر أشد الناس غفلة وأعتاهم تمرداً بضعفهم وعجزهم وفقورهم، فالصوم يشعره بالجوع والجوع يجعله يفكر في نفسه وفي معدته الخاوية، ويشعره بالحاجة إلى غيره وبالذات حاجته إلى الرحمة الإلهية ورأفتها، ويتذكر مدى ضعفه الشديدة، فيتوق إلى طُرق باب المغفرة الربانية بعجز كامل وفقر ظاهر، متخلياً عن فرعنة نفسه متهيناً بذلك لطُرق باب الرحمة الإلهية بيد الشكر المعنوي. (النورسي، 2013:442) من جهة أخرى، ذكر الإمام النورسي أن من حكم الصوم الحمية، وهو نوع من أنواع العلاج الناجع للإنسان، ذلك أن الإنسان كلما سلكت نفسه سلوكاً طليقاً في الأكل والشرب سبب له أضراراً مادية في حياته الشخصية، وكذلك الحال في حياته المعنوية. فنفوس الناس تحتاج إلى ترويض، ولن

يفلح ذلك الترويض إلا بالجوع الذي يعود الإنسان على سلوك التحمل والصبر وينال بذلك الترقيات الكثيرة الفيوضات الجمّة للقلب والروح والعقل ويتحلّى بحالات روحانية ملانكية. كما أن الصوم في رمضان يُنزل - كما قال الإمام النورسي - ضربة قاضية مباشرة على فرعونية النفس، فيكسر فيها عنصر الشهوة كما يكسر شوكتها من خلال إظهار عجزها وضعفها وفقرها، ويعرفها بسلوك العبودية. (النورسي، 2013:453)

الحل الثاني: طهارة النفس وتزكيتها بالذكر: زيادة على ذلك فقد قال الثعالبي وهو يقترح حلاً آخر لعلاج هذه الغفلة قال رحمه الله: واعلم أن الإنسان مطلوب بطهارة نفسه، وتزكيتها، وطُرُقُ التزكية وإن كَثُرَتْ، فطريق الذِّكْر أسرع نفعاً، وأقرب مَرَاماً. (الثعالبي، 1418:113)

3. مسلك الفلاسفة النظري المشوب بالشبهات: (النورسي، 2009:148) هذا المسلك في نظر الإمام النورسي هو مسلك بعيد عن مسلك الأنبياء وأتباعهم لأنه مليء بالشبهات والأوهام والشبهات والشكوك والجدال في التفكير، كما أنه مسلك نظري بعيد عن الواقع والعمل والسماحة والبسر، ومسلك الفلاسفة مسلك جدلي قائم على التفكير المجرد دون عمل وتطبيق، بل هو بعيد عن الفطرة. فالقرآن الحكيم بجميع أحكامه اتخذ منهج الاستدلال وتبنى أساليب الرد والحجاج لأنه منهج يتلاءم مع الفطرة الإنسانية، وقد قال عنه بأنه مسلك الضعفاء، لأنهم اعتمدوا في طريقة تفكيرهم وتقرير عقائدهم على تسلسل الأسباب والاستدلال بالحادث على المحدث، وبالصنعة على الصانع واعتمدوا على الدليل بالإمكان كي يثبتوا به الواجب. قال رحمه الله: أصحاب هذا المسلك هم من غير الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم ينظرون إلى ذواتهم قبل النظر إلى الخالق سبحانه، ولديهم أنانية من نوع خاص (النورسي، 2009:424) فسلكوا مسلك إنكار النبوات ومن لا يرى أن إرسال الرسل حقائق ثابتة (جامي، 1408:58) ولهذا كان مرضهم الحقيقي الأنانية، وأنانيتهم وغرتهم منعتهم من الرجوع إلى العارفين بالله ليرشدوهم إلى السلوك المستقيم. يقول النخجواني: إن السلوك من هذا الطريق لا يتم إلا بالاستمداد والاسترشاد من أهل الخبرة والاستبصار وأرباب الكشف. (النخجواني، 1999:324) وهذا يدل على ضعف الإنسان الشديد، وخصوصاً حين يلجأ إلى عقله فيقدسه لدرجة أن ما أثبتته العقل فهو الثابت وما نفاه العقل فهي المنفي. قال البقاعي رحمه الله: إن السالك يفتر في ابتداء السلوك إلى كثرة الأدلة، فإذا استنار قلت حاجته إلى ذلك. وختم تلك الأدلة بما هو لأول السلوك: العقل، (البقاعي، بدون تاريخ:155) وهذا العقل هو غاية السلوك الطالب للإنسان. وعن هذا الضعف يرى الإمام النورسي أن الإنسان بسلوكياته ودوافعها مجتمعة نسخة جامعة، وأنه تعالى يشعره جميع أسمائه الحسنى من خلال النفس. فإن فعل ذلك فقد أصابته الرهبة، والرهبة هي مبدأ من مبادئ السلوك. (البيضاوي، 1418:76) كما أن الإنسان مخلوق تجمعت فيه كل صفات الضعف والعجز والفقر والاحتياجات والنقص والقصور، وهو في نفس الوقت يظهر قدرة التقدير وقوة القوى وغنى الغني ورحمة الرحيم. (النورسي، 2013:389)

رابعاً: مسلك المتسترين الأدلاء: وهذا مسلك المنافقين والعياذ بالله، يرى الإمام النورسي أن النفاق سلوك خسيس يولد المذلة للنفس الإنسانية. فالسلوك القائم على الخوف يولد التذلل، والتذلل يولد الرياء، الذي هو المداهنة وعين الكذب، ولهذا وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِذَا لُفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: 14]. كما تحدث الإمام النورسي عن نتائج مثل هذه السلوكيات المشينة بأنها مسلكيات تقسد القلب، وإذا فسد القلب فإنه والعياذ بالله يورث يُتَمُّ الروح، بمعنى أن يفقد الصاحب والحامي والمالك، وإذا فقد ذلك استولى عليه الخوف، وهذا يلجئه إلى التستر، وبذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذَا خُلُوا﴾ [البقرة: 14]. ثم لما كان مسلك النفاق يؤدي إلى قطع الأرحام، وقطع الأرحام يزيل الشفقة من القلب، وزوالها ينتج عنه إفساد، والإفساد يولد الفتنة، والفتنة هي الخيانة، والخيانة ضعف، وهذا يضطره إلى البحث عن ظهر وسند يلتجئ إليه، وهذا ما فصلته

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيْطَانِيهِمْ﴾ [البقرة: 14]. ثم لما كان السلوك النفاقي جهلاً ترددياً نتج عنه تذبذبات طبيعية المؤدية إلى عدم الثبات، وهو مسلك عدم الوضوح في الطريق وعدم الأمانة بهم، هذا الأمر أجبرهم على تجديد عهدهم مع القوة التي احتموا بها، فقالوا لهم كما أخبرنا الله عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: 14]. ثم لما احتاجوا إلى أن يقدموا الأعداء، أوصلهم الأمر إلى الاستخفاف بالحقيقة وذلك لحفة ذواتهم. ثم إنهم رخصوا غالي القيمة لعدم قيمتهم، ونتج عن ذلك أنهم أهانوا بالعالى لهون أنفسهم وضعفها، وهذا نشأ عنه غرور فاستهزأوا بغيرهم، فقالوا كما أخبرنا الله عنهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: 14]. (النورسي، 2011: 106)

خامساً: مسلك الجاحدين الطبيعيين: من أعظم ما ابتليت به هذه الفئة من الناس الاعتقاد الجازم أن الحق مسلكهم وأن مسالك غيرهم قائمة على الباطل. يؤمن الإمام النورسي أنه حينما يعتقد المرء بشكل جازم: أن الحق هو مسلكه فحسب، وأن الجمال كله والحسن والبهاء ينكمش في مسلكه وحده، وهذا كما يراه الإمام رحمه الله هو القاصمة التي تقصم ظهر صاحبها، حين يُنصَب نفسه قاضياً على سلوكيات الآخرين. (النورسي، 2011: 229) يقول: إن الحرص يتلف الإخلاص ويفسد العمل الأخروي (النورسي، 2011: 229) وقد جاء رحمه الله بمثال على هذا المسلك المشين، وهو مسلك الجاحدين الطبيعيين، الذين ارتضوا به رغم بعده عن موازين العقل.

سادساً: مسلك أصحاب الخدمات الاجتماعية والسلوكيات العامة النافعة: يرى الإمام النورسي أن الإسلام نزل برسالته السماوية من أجل حماية العوام أكثر من الخواص، وبالتالي فإن الإسلام لا يجعل الخواص مستبدين بسلوكياتهم ضد العوام، بل على العكس، فإنه يطالبهم بسلوكيات حضارية تجعل من الخواص خادمين للعوام، ولهذا فهو أوجب عليهم أموراً كثيرة، منها: ألزمهم بسلوك دفع الزكاة، وحرّم عليهم سلوك الربا. مستشهداً بقوله: خير الناس أنفعهم للناس، وهي مأخوذة من قوله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس». وكذلك سيد القوم خادهم. (النورسي، 2013: 468) فكما أن السلوكيات النظيفة الشرعية هي التي تحفظ الأمم فإن الفوضى السلوكية تؤدي إلى الدمار الحقيقي والغضب الإلهي، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 9]. فالقرآن بأغلب سوره يحث الإنسان على ممارسة سلوكيات راشدة فيها نفع عميم للبشرية جمعاء. تحذر من السلوكيات الشاذة حتى لا تتطور وتصبح ظاهرة اجتماعية، فحين يتحول السلوك إلى ظاهرة اجتماعية فإنه قد يمارس قهراً خارجياً على الفرد، لأنها ظاهرة أصبحت عامة لا يمكن مقاومتها بسهولة.

سابعاً: مسلكيات العباد والزهاد والمفكرين: يرى الأستاذ الكبير سعيد النورسي أن استعدادات الإنسان غير متناهية، وتصورات وأفكاره كذلك، ذلك لأن أماله غير متناهية، ذلك لأن حاصله ونتاجه عن ميولات وسلوكيات غير مضبوطة، فهي مزروعة في جوهر روحه التي كرمها الله تعالى بها. (النورسي، 2009: 60) فهو مع صغر جرمه وضعفه وعجزه فإنه ينطوي على روح غالية ويحتوي على استعداد ودوافع كاملة، وفي نفس الوقت فهو يستبطن ميولات لا حصر لها وأماله لا نهاية لها، وفي نفس الوقت فإن أفكاره لا يمكن حصرها. ويرجع السبب في ذلك رحمه الله إلى سلوكيات العبادة التي يمارسها والتي تسبب انبساطاً عجيبياً في روحه وتغلي قيمته وتجليها بشكل لا مثيل له. كما أن هذه المسلكيات التعبديّة تهذب ميولاته السلبية وتعززه بالنزاهة، بل هي الوسيلة التي من خلالها يحقق أهدافه وبها ينظم أفكاره. (النورسي، 2009: 60) من جهة أخرى، يرى الإمام النورسي أن استعداد البشر هو استعداد مسدد للتكليف، ولهذا فإن العبادة بالنسبة إليه رحمه

الله هي وظيفة عظيمة جاءت نتيجة خلق الله للناس، وأما مسألة الثواب والعقاب فهي محض فضل من الله تعالى. (النورسي، 2009:149)

ثامناً: سلوك غير المتأدبين مع الله عز وجل: ومن الأشياء التي تزيد من سلبية السلوك اختبار العبد لربه بسلوكياته، فإن البداهة واليقينية أن يسلم العبد نفسه لربه ليختبرها، وليس العكس، فالعبد ليس له الحق أن يختبر ربه بقوله: يا رب إذا قمت بالسلوك هذا وبالعامل ذلك، فهل تعمل لي كذا وكذا، وتوافيني كذا وكذا. فهذا حكمه عند الإمام النورسي قليل أدب مع الرب ويتنافى مع صدق العبودية. والصواب: أن يؤدي العبد واجبه دون أن يتدخل بتدبيرات الله سبحانه وتعالى. (النورسي، 2011:190) ويورد في هذا السياق قصة عن إبليس لعنه الله، وأنه ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام، قال: ألتت تقول: إنه لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل، فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون! إن لله أن يختبر عبده، وليس للعبد أن يختبر ربه.

تاسعاً: سلوك المتوهمين وأصحاب الأمراض النفسية: من أخطر الأمراض النفسية التي يصاب بها الإنسان مرض التوهم:

يصدر هذا السلوك عن الإنسان حينما يصاب بمرض التوهم، والتوهم كما هو معلوم: ظن الشيء على خلاف ما هو عليه. (الخميس، 2004:257) فالمتوهم هو مريض بالقول الظني والحدسي، فإن أصيب الإنسان بمرض التوهم والظن والخيال صار ينظر المرء إلى نفسه محقاً، وفي نفس الوقت يرى مخالفه على باطل كلي، وخير مثال على ذلك ما أخبرنا فيه سبحانه وتعالى عن قول يهود عن أنفسهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَّا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80]. وجاء في تهذيب اللغة: وللقلب وهم، وجمعه أوهام، والله لا تُدرکه أوهام العباد. ويُقال: توهمت في كذا وكذا، وأوهمت الشيء إذا أعقلته. (ابو منصور، 2001:245) ولهذا فالعلماء لم يعتبروا التوهم من العلم، قال أبو هلال العسكري: التوهم من قبيل التجويز والتجويز يُنافي العلم. وزاد رحمه الله: وَقَالَ آخِرُ النَّوْهَمِ هُوَ تَجْوِيزٌ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْجَائِزِ وَالْوَاجِبِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمَ الْإِنْسَانُ مَا يَمْتَنِعُ كَوْنَهُ إِلَّا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمَ الشَّيْءَ مَتَحَرِّكًا سَاكِنًا فِي حَالٍ وَاجِدَةٍ.

النتيجة من هذا المرض، الشقاق والخلاف والمنافسة غير الشريفة، والذي يحل محل الاتفاق والمحبة، ومن ابتلي بذلك فاته الإخلاص وأحبط عمله حتى يصبح أثراً بعد عين. (النورسي، 2011:228) وقد اقترح رحمه علاجاً لهذا المرض الوبيل بقوله: إن علاج هذا المرض يبدأ من الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وتعميق روابط المحبة معهم امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحب لله والبغض فيه: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» وهذا ما أخرجه البخاري بقوله: «وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ» وأخرج مسلم بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». ثم لا بد من السير خلفهم وترك شرف الإمامة لهم وترك الإعجاب بالنفس والغرور، بناء على احتمال كون سالك الحق أياً كان هو خيراً منه وأفضل، وذلك ليسهل نيل الإخلاص. ثم قال رحمه الله: بهذه الأمور يعالج هذا المرض الوبيل ويعافى منه، ويظفر بالإخلاص، ويكون المؤمن ممن أدى أعماله الأخروية حق الأداء. (النورسي، 2011:233)

نتائج البحث:

1. أثبت البحث أن الإمام النورسي يرى أن هناك أنواعاً كثيرة من السلوكيات الإنسانية التي تحتاج إلى تبصر لاكتشاف كنهها.
2. من خلال هذه الدراسة اليسيرة وصل البحث إلى أن الأستاذ الكبير سعيد النورسي يرى أن استعدادات الإنسان غير متناهية، وتصوراته وأفكاره كذلك، ذلك لأن آماله غير متناهية، ذلك لأن حاصلة وناتجة عن ميولات وسلوكيات غير مضبوطة، فهي مزروعة في جوهر روحه التي كرمها الله تعالى بها.
3. أثبت البحث أن السلوك الإنساني جزء لا يستهان به لكشف أسرار النفس الإنسانية في تكويناتها المعقدة.
4. يرى الإمام النورسي أن الإنسان بسلوكياته ودوافعها مجتمعة نسخة جامعة، وأنه تعالى يشعره جميع أسمائه الحسنى من خلال النفس. كما أن الإنسان مخلوق تجمعت فيه كل صفات الضعف والعجز والفقر والاحتياجات والنقص والقصور، وهو في نفس الوقت يظهر قدرة التقدير وقوة القوي وغنى الغني ورحمة الرحيم.
5. أنكر الإمام النورسي على الفلاسفة مسلكهم النظري، لأنه مسلك قائم على الضعف، وعلامة ضعفه: تقديس العقل، وأن ما أثبتته العقل عندهم فهو الثابت وما نفاه العقل فهو المنفي.

المصادر والمراجع

القرآن الحكيم

1. إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).
2. أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، (المدينة المنورة: المجلس الأعلى بالجامعة الإسلامية، ط1، 1408هـ).
3. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، أدب الدين والدنيا، (دم: دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م).
4. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، تفسير السمرقندي، (دم: دن، د.ط، د.ت).
5. أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفاض الوُزَيَّابي (المتوفى: 301هـ)، كتاب القدر، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، (دم: أضواء السلف، ط1، 1418هـ/1997م).
6. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، (قبرص: الجفان والجابي، ط1، 1407هـ/1987م).
7. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ط، د.ت).
8. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط2، 1975م).

9. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مَحْمَد كَامِل قره بللي، (د.م: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م).
10. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).
11. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990م).
12. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 هـ - 751 هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدُ أَجْمَل الإصلاحي، سليمان بن عبد الله العمير (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1432م).
13. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
14. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (المملكة العربية السعودية: دار المغني، ط1، 1412هـ/2000م).
15. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
16. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، (عمّان: دار الفكر، ط1، 2009م).
17. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 2008م).
18. بديع الزمان النورسي، اللغات، ترجمة الخيرات، دار الخيرات للنشر، 2011، إستانبول.
19. بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، دار الخيرات للنشر، 2009، إستانبول.
20. بديع الزمان سعيد النورسي، الطلاسم، ترجمة: مركز الترجمة والبحوث العلمية، (إستانبول: دار السنابل الذهبية، ط1، 1432هـ/2011م).
21. بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة الخيرات، دار الخيرات للنشر، 2011، إستانبول.
22. بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق: مركز الترجمة والبحوث العلمية، (إستانبول: دار السنابل الذهبية، ط1، 1429هـ/2009م).
23. بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة الخيرات، دار الخيرات للنشر، 2013، إستانبول.
24. الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (المدينة المنورة: موقع الجامعة على الانترنت) أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء.
24. رسمية علي خليل، السلوك الإنساني والفهم العالمي، مجلة الدارة، السعودية، مج 8 عدد 3، يناير/ ربيع الثاني. 1983م.

25. رمضان محمد القذافي، **علم النفس العام**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي، د. ط، 2010م).
26. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، **مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد**، (بيروت-صيدا: الدار النموذجية، ط5، 1420هـ/1999م).
27. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، **العلمانية - نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المُعاصرة**، (دم: دار الهجرة، دط، دت).
28. عادل عز الدين الأشول، **علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2008م).
29. عبد الرحمن عدس، محي الدين توفيق، **علم النفس العام**، (عمان: مكتبة الأقصى، ط2، 1984م).
30. عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، **معالم في السلوك وتزكية النفوس**، (دم: دار الوطن، ط1، 1414هـ).
31. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، دت).
32. عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: 1293هـ)، **البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية**، (دم: مكتبة الهداية، ط1، 1410هـ/1989م).
33. عبد اللطيف خليفة، ومحمد معتز سيد عبد الله، **الدوافع النفسية والانفعالات** (الرياض: دار الزهراء، ط1، 2011م).
34. فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: 1392هـ)، **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**، (المدينة المنورة: مطابع الجامعة الإسلامية، ط3، 1413هـ).
35. لويس معلوف اليسوعي، **المنجد الإيجدي**، (بيروت: دار المشرق، ط4، دت).
36. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطنحاني (بيروت: المكتبة العلمية، دط، 1399هـ/1979م).
37. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، دط، 1416هـ/1996م).
38. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، **موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة**، موقع الدرر السنة على الانترنت: Dorar.net.
39. مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ) وغيره من كتاب المجلة، **مجلة المنار** (كاملة 35 مجلداً) (رقم الجزء، هو رقم المجلد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في المجلد المطبوع).
40. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).
41. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دم: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
42. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م).

43. محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: 406هـ)، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1430هـ/2009م).
44. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م).
45. محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، (دم: دار أطلس الخضراء، ط1، 1425هـ/2004م).
46. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) الجامع الكبير - سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، دط، 1998م).
47. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دط، دبت).
48. مصطفى فهمي، الدوافع النفسية، (القاهرة: مكتبة مصر، ط3، 1955م).
49. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).
50. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).
51. نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (الغورية - مصر: دار ركابي للنشر، ط1، 1419هـ/1999م).
52. وجيه محمود إبراهيم، علم النفس (بيروت: دار العودة؛ ليبيا طرابلس: دار الكتاب العربي، ط1، 1974م).